

في هذا العدد

أصوات فلسطينية جديدة

أين تقع فلسطين في خريطة التغيير العربي الذي بدأ مع فجر الثورات التي أطاحت بعض الأنظمة، والتي لا تزال ملامحها ترتسم بالدم والمعاناة؟

لا يزال واقع التغيير العربي ملتبساً، وسيبقى كذلك فترة قد تطول، فالعالم العربي لا يعيش انقلابات عسكرية تُحدث تغييراً من فوق، بل يعيش مخاضاً تاريخياً صعباً ومعقداً، سيتبلور من خلال توازنات سياسية واجتماعية وثقافية جديدة.

هل صحيح أن فلسطين غائبة عن التحركات الشعبية التي تعصف بالعالم العربي؟ إن قراءة أولى للشعارات السياسية التي ارتفعت في شوارع العالم العربي تقول إن إسقاط الاستبداد واستعادة كرامة المواطن والوطن، طغت على ما اصطحننا أن نطلق عليه في أدبياتنا السياسية اسم الهم القومي. وبدا أن هدف الثورات العربية هو بناء أطر وطنية جديدة أساسها الديمقراطية ونزع قدسية الاستبداد وبناء مجتمع تعددي.

هذه القراءة ليست خطأ، لكنها تتجاهل أن الديمقراطية هي الشكل الوحيد الذي يسمح للعالم العربي بالخروج من مستنقع الانحطاط الذي صنعه الديكتاتورية. وإذا كانت أولى علائم الانحطاط هي الاستسلام المعلن أو المستتر أمام الاحتلال الإسرائيلي، فإن الخروج منه، سيعيد تشكيل وعي عربي جديد تحتل فيه فلسطين مركز البوصلة، لأنها كانت، وستبقى، التحدي التاريخي الأكبر الذي يواجهه العالم العربي في تاريخه المعاصر.

لم تشهد القضية الفلسطينية عزلة كذلك التي فرضها الاستبداد. فالأنظمة الاستبدادية والرجعية العربية رأَت في فلسطين ورقة مساومة، وحين وصل الأمر إلى القرار الأميركي - الإسرائيلي بسحق الحركة الوطنية الفلسطينية خلال الانتفاضة الثانية، تولى الجميع عن فلسطين، من دون التخلي عن خطاب استغلالي يزايد على الدم الفلسطيني.

الخطر الذي واجهته فلسطين منذ اجتياح الضفة الغربية في سنة ٢٠٠٢، هو تحوُّلها من قضية إلى ساحة خلفية للصراعات الإقليمية والدولية. وكان هذا التحول الذي بلغ ذروته في الانقسام الفلسطيني، هو أسوأ لحظة في تاريخ فلسطين المعاصر، منذ أن نجحت الثورة الفلسطينية في بلورة الهوية الفلسطينية بعد النكبة الكبرى في سنة ١٩٤٨.

ويمكن القول إن تحويل فلسطين إلى ما يشبه الساحة كان ثمرة جهود مضمّنة بذلتها أنظمة الاستبداد من أجل وأد الحركة الوطنية الفلسطينية، كي تكون فلسطين ورقة مساومة وابتزاز.

مساومة مع القوى الدولية من أجل بقاء الأنظمة واستمرارها.

وابتزاز للشعوب العربية، كي تبقى خاضعة ومستكينّة باسم مواجهة الاحتلال.

سؤال فلسطين الكبير هو كيف الخروج من مأزق الساحة الذي يضعها فيه عجز النخبة السياسية الفلسطينية عن بناء سدّ وطني متماسك في مواجهة غطرسة الاحتلال واستيطانه الزاحف وقراره

بالاستمرار في حرب النكبات المتواصلة التي يتعرض لها الفلسطينيون. والسؤال موجّه أولاً إلى المجتمع المدني الفلسطيني في الوطن المحتل والشتات، وإلى الجيل الذي تفتّح وعيه على وعود الانتفاضة الأولى، ليجد نفسه في خيبات هزيمة الانتفاضة الثانية والتفكك والانقسام والضياع السياسي الذي أعقبها.

هل يبقى المجتمع المدني الفلسطيني خارج وعود التغيير في العالم العربي، وما معنى التغيير في ظل مواجهة شعبية يومية للاحتلال تفتقد أداؤها السياسية ووعاءها التنظيمي؟ عن هذه الأسئلة أعد الزميل خليل شاهين ملفاً لهذا العدد أعطى فيه الكلمة الأولى والأخيرة لجيل جديد من الناشطين الفلسطينيين؛ جيل لا يزال في الأطوار الأولى من تلمّس طريقه نحو التغيير. ونحن في "مجلة الدراسات الفلسطينية"، نرحب بأصوات أنس البرغوثي وباسل الأعرج وزيد الشعبي ومراد جاد الله ونزار نبات وسامر أبو رحمة وفادي قرعان، وندعو جميع الأصوات الشبابية الجديدة إلى احتلال موقعها في الساحتين الثقافية والسياسية، وإنضاج رؤيتها وبلورتها.

تاريخ فلسطين حلقات متصلة من الصراع والمعاناة، لذا جاءت الدراسة المتميزة التي قدم بها وليد الخالدي لأعمال عارف العارف كي تلقي أضواء كاشفة على شخصية المؤرخ الكبير وعمله الذي يُعدّ رائداً في قدرته على توثيق المأساة الكبرى التي تعرض لها الشعب الفلسطيني. هكذا يكون التواصل بين أجيال كبار المؤرخين الفلسطينيين مدخلاً لبناء سردية النكبة والمقاومة، ويكون التاريخ مدرسة نتعلم فيها مواجهة مشكلات الحاضر بعقل نقدي.

في إطار قراءة الحاضر يقدم ماجد كيالي قراءته لصعود وأفول الهوية الوطنية الفلسطينية، ويكتب داود تلحمي عن تصورات الحركة الوطنية الفلسطينية للعلاقة مع الفلسطينيين في إسرائيل، ويكتب عوني فارس عن الحياة التعليمية والثقافية للأسرى الفلسطينيين، ويقرأ زياد ماجد الواقع الفلسطيني بعد ٤٦ عاماً من النكبة.

لين جبري تقدم في دراستها عن مدينة روابي في الضفة الغربية، مقترِباً جديداً لقراءة علاقة التخطيط المدني والعمارة بالسياسة وواقع الاحتلال، بينما يأخذنا موشيه ماخوفر إلى تجربة اليسار الإسرائيلي الجديد، ونتابع مع تحقيق تانيا الخوري ملف الثورات العربية عبر دراسة الأماكن والأجساد في الفنون التي تنتجها هذه الثورات.

وفي النهاية نستعيد مع الفنان التشكيلي يوسف عبدلكي ذكرى محيي الدين اللباد، الذي كان علامة كبرى في فن الكاريكاتير والجرافيك، ونتوقف مع صادق الشافعي أمام ذكرى المناضل شريف الحسيني، ونستمع إلى ملاحظات الصديقة والمؤرخة بيان نويهض الحوت.

ونظراً إلى ظروف خارجة عن إرادة هيئة التحرير، تأجل إدراج باب الوثائق في هذا العدد، ليضاف إلى باب الوثائق في العدد المقبل. ■

الياس خوري